العمل الخيري في السنة النبوية ودوره في الإصلاح النفسي والتربوي

للباحثة

د. كريمة محمد سوداني

ملخص

إنّ من أهمّ التشريعات الإسلامية في الكتاب والسنة: العمل الخيري، والذي جاء لتحقيق مقاصد الدين، في الحفاظ علىٰ الحياة البشرية وتحقيق خلافة الإنسان في الأرض، ولذلك جاءت الأحكام الشرعية تحثّ عليه إن بالوجوب، كزكاة المال وصدقة الفطر، أو النّدب، كالوقف وصدقة التطوّع.

وقد تميّز العمل الخيري في السنّة النبوية بعدّة خصائص، تمثّلت في: العبودية، والعموم، والشمولية، والوسطية والاعتدال، والدوام والاستمرارية، والتشجيع والترغيب، والجزاء والمثوبة.

كما تلخّصت أهمّيّة العمل الخيري في السنّة النبويّة الشريفة في عناصر، منها: طاعة الله ورسوله وما يترتّب عليهما من كسب الأجر والثواب، والتكافل والتراحم والتوادد، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، وتفريج الكربات وتقديم العون في النائبات، وإحلال الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع.

إنّ الإصلاح -وهو عملية تغيير في الواقع أو الحال من أجل الوصول إلىٰ أحسن النتائج وأوفقها وأكثرها مواءمة مع العقل والشرع- لهو من الأهمّية بمكان لكلٍّ من الفرد والمجتمع، والعمل الخيري رافد من روافد هذا الإصلاح، لاسيما في الجانبين: النفسي والتربوي.

من أهمّ آثار العمل الخيري في الإصلاح النفسي: تطهير النفس من مرض

الشح والبخل، وتعزيز الثقة بالنفس وعدم تحقير فعل الخير، والالتزام بالواجبات والمسؤوليات، والحثّ علىٰ العمل وذمّ البطالة.

وأمّا أهمّ آثار العمل الخيري في الإصلاح التربوي، فهي: المبادرة وروح الابتكار، وتربية الحس الجماعي، واستغلال الوقت، واستثمار المواهب والطاقات.

الكلمات المفتاحية:

العمل – الخيري – السُّنّة – الإصلاح – التكافل – النفسي – التربوي.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق فسوىٰ، والذي قدّر فهدىٰ، والذي قسم رحمته بين العباد، فبها يتراحمون ويتعاطفون ويتعاونون، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان علىٰ نبيّنا محمد النبيّ الأسوة الرحمة المهداة، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين،

أما بعد،

فقد منّ الله علىٰ هذه الأمّة بأن أكمل لها دينها وبيّن لها أحكام شريعتها بما يكفل لها صلاح معاشها ومآلها، بما بلّغه رسولنا الكريم ﷺ كاملا غير منقوص، فما ترك باب خير إلا وأرشد إليه، ولا باب شرّ إلاّ وحذّر منه.

ولعلّ من أهمّ تلك التشريعات الربانيّة التي حرص رسولُنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه علىٰ أن يتمثّلها قولا وعملا، والتي أسهمت في حلّ وعلاج مختلف قضايا المجتمع: "العمل الخيري" بجميع أنواعه.

فما هو العمل الخيري في السنة النبوية الشريفة؟ وما هي خصائصه وأهمّيّته؟ وكيف أثّر في الإصلاح النفسي والتربوي في المجتمع؟

وعليه يأتي هذا البحث للإجابة علىٰ هذه الأسئلة، للمشاركة به في مؤتمر: "العمل الخيري مقاصده وقواعده وتطبيقاتها"، والذي عنونته: **"العمل الخيري في السنة النبوية ودوره في الإصلاح النفسي والتربوي"**

وذلك ضمن:

المحور الأول: العمل الخيري ودوره في الإصلاح المجتمعي.

العنصر الرابع: العمل الخيري وأثره في الإصلاح النفسي والتربوي.

أهمية البحث وحيثياته:

تحديد مفهوم العمل الخيري في السنة النبوية وإبراز دوره في الإصلاح النفسي والتربوي.

❁ أهداف البحث:

١. التعريف بالعمل الخيري وخصائصه وأهميته من خلال السنة النبوية.

٢. بيان أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية.

٣. بيان أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي من خلال السنة النبوية.

❁ المنهج العلمي للبحث:

الاستقراء والوصف.

❁ أدوات جمع البيانات للبحث:

المصادر والمراجع الحديثية وتفاسير القرآن الكريم ومختلف المؤلفات في اللغة والتربية.

خطة البحث: وتشمل:

المقدمة.

الفصل الأول: العمل الخيري في السنة النبوية: خصائصه وأهميته.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العمل الخيري لغة واصلاحا.

المبحث الثاني: خصائص العمل الخيري في السنة النبوية.

المبحث الثالث: أهمّيّة العمل الخيري في السنة النبوية.

الفصل الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي والتربوي من خلال السنة النبوية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإصلاح وأهميته.

المبحث الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية.

المبحث الثالث: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي من خلال السنة النبوية.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

صعوبات البحث:

الحقيقة وفي ظلّ توافر المصادر والمراجع لا توجد أي صعوبات تذكر، اللهمّ إلا تخصيص الوقت المناسب لتقديم البحث كاملا.

هذا، ونبدأ بتوفيق الله تعالىٰ مع الفصل الأول.

الفصل الأول

العمل الخيري في السنة النبوية: خصائصه وأهميته

إنّ الحديث عن العمل الخيري في السنة النبوية لا ينفكّ عنه في القرآن الكريم، ونظرة في الآيات القرآنية الكريمة، نجد أنّ لفظ "الخير" اقترن في كثير منها بلفظ "المسارعة" أو "المسابقة"؛ وصفا أو أمرا، وذلك في ستة مواضع، هي: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]،

وقوله عن الأمّة القائمة من أهل الكتاب: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [آل عمران: ١١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]،

وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

من خلال ما سبق، نستنتج أنّ "الخيرات" أو "الخير" اسم جامع لكل طاعة

أو عمل صالح يمكن أن يقوم به الإنسان [1]، ولأنه لا حدود ولا نهاية له، جعل الله سبحانه تحصيله والقيام به مجالا للمسارعة والمسابقة، لتحقيق أكبر قدر من الصلاح الفردي والاجتماعي، والذي منه التكافل والتآزر بين الناس.

ولبيان حديث السنة النبوية المطهرة عن العمل الخيري، أعرض إلىٰ ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: تعريف العمل الخيري لغة واصلاحا.

المبحث الثاني: خصائص العمل الخيري في السنة النبوية.

المبحث الثالث: أهمّيّة العمل الخيري في السنة النبوية.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢/ ٤٣.

المبحث الأول

تعريف العمل الخيري لغة واصلاحا

١-الخَيْرُ لغة: أصلُ "الخَيْر": العَطْف والميْل، قال في معجم المقاييس بعد ذكره لهذا المعنىٰ: "فالخَيْر: خِلافُ الشّرّ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يَمِيلُ إِليه، ويَعطِف علىٰ صاحبه"(١).

و"الخَيْرُ" و"الخَيِّرُ" أيضا: "الرَّجلُ الكَثِيرُ الخَيْرِ"(٢).

وفي لسان العرب: "فإِن أَردت معنىٰ التفضيل قلت: فلانة خَيْرُ الناسِ، ولم تقل: خَيْرَةُ، وفلانٌ خَيْرُ الناس، ولم تقل: أَخْيَرُ، لا يثنىٰ ولا يجمع لأَنه في معنىٰ أَفعل"(٣).

من خلال ما سبق، يمكن أن نُجمل معاني الخير لغة في:

-ما تميل إليه الفطرة السليمة.

-كل ما هو خلافُ الشرّ.

-اسم تفضيل بمعنىٰ أحسن وأفضل.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٢٣٢.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضىٰ الزبيدي، ٦/ ٣٧٨.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٤/ ٢٦٤.

٢-الخَيْرُ اصطلاحا:

وردت لفظةُ "الخَيْر" في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، في سياقات متعدّدة، هي:

١. قوله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٣. قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

٤. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [يونس: ١١].

٥. قوله تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١].

٦. قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

٧. قوله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٨. قوله تعالىٰ: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ

كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٩].

٩. قوله تعالىٰ: ﴿ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ [ص: ٣٢].

١٠. قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٩].

١١. قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠-٢١].

١٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨].

ونظرة متأملة في الآيات السابقة، نجد أنّ "الخير" كثيرا ما ورد في مقابلة الشرّ، فالخيرُ إذن هو كل ما كان أمرا مشروعا ومأمورا به وتُحبّه الأنفس، بعكس الشر، الذي تمجُّه وتفرّ منه النفوس، وهذا بالنظر إلىٰ معناه العام.

وعليه؛ فإنّ مفهوم "العمل الخيري" يلتقي في معناه مع التطوّع، ليكون في أيسر معانيه:

كل جهد أو مال يُنفق لأجل سدّ حاجة الآخرين، بلا عِوَض، علىٰ سبيل التطوّع.

وهو ما يُلخِّصُه لنا حديث رسولنا الكريم ﷺ: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ

بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»(١).

ومثله قوله ﷺ: «كُلُّ سُلاَمَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَىٰ الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»(٢).

وهذا المفهوم الواسع للعمل الخيري يجعل منه نافذة لما لا يُحصىٰ من صنائع المعروف بين الناس، مهما صَغُر شأنها أو عَظُم، لتُنشئ لنا مجتمعا متآزرا متعاونا، يطرق أبواب الخير بجميع أنواعها، فتجتمع جهود الأفراد والجماعات والمؤسّسات لتحقيق مقصد الإفادة والنفع لبني الإنسان إن بالجهد أو المال، ولذلك يقول النووي رحمه الله: "وفيه أنه لايحتقر شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَبْخَلَ بِهِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُحْضِرَهُ"(٣).

(١) متّفق عليه من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابٌ: عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، ٢/ ١١٥ (١٤٤٥)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٨).

(٢) متّفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الجهاد والسِّيَر؛ بَابُ مَنْ أَخَذَ بِالرِّكَابِ وَنَحْوِهِ، ٤/ ٥٦ (٢٩٨٩)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٩).

(٣)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ٧/ ٩١.

المبحث الثاني

خصائص العمل الخيري في السنة النبوية

إنّ العمل الخيري من الأمور التي أفاضت في الحث عليها النصوص الشرعية قرآنًا كريما وسُنَّةً نبويّة، لما له من أثر في تلاحم المسلمين وتآزرهم وتفريج هموم بعضهم البعض، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]؛ فالفلاح مرتبط بفعل الخير أيّا ما كان نوعه، قال البقاعي عند تفسير هذه الآية: "أي كلَّه: من القرب؛ كصلة الأرحام، وعيادة المرضىٰ، ونحو ذلك، من معالي الأخلاق بنيّة وبغير نيّة، حتىٰ يكون ذلك لكم عادةً؛ فيخفّ عليكم عمله لله"[(١)]، ومن الأحاديث النبويّة الشريفة نجد قوله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[(٢)]، وقد ترجم الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ»، ذلك أنّ عمل الخير لا حدّ له، مهما صغر أو كبر، فلا يدري المرء أيّ الأعمال يكون مقبولا، وأيّها يكون سببا في دخوله الجنّة، ونجاته من النار، فقد قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٣/ ١٠٠.

(٢) متّفق عليه من حديث عديّ بن حاتم رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابٌ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ، ٢/ ١٠٩ (١٤١٧)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، ٢/ ٧٠٣ (١٠١٦).

أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[1]، قال النووي رحمه الله: "فِيهِ الْحَثُّ عَلَىٰ فَضْلِ الْمَعْرُوفِ وَمَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَإِنْ قَلَّ"[2].

والمعروف كما قال الراغب الأصبهاني: "اسمٌ لكلّ فعل يُعْرَفُ بالعقل أو الشّرع حُسْنُه"[3]، ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله عن ابن أَبِي جَمْرَةَ قوله: "يُطْلَقُ اسْمُ الْمَعْرُوفِ عَلَىٰ مَا عُرِفَ بِأَدِلَّةِ الشَّرْعِ أَنَّهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ؛ سَوَاءٌ جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ أَمْ لَا، قَالَ: وَالْمُرَادُ بِالصَّدَقَةِ: الثَّوَابُ؛ فَإِنْ قَارَنَتْهُ النِّيَّةُ أُجِرَ صَاحِبُهُ جَزْمًا، وَإِلَّا فَفِيهِ احْتِمَالٌ، قَالَ: وَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْحَصِرُ فِي الْأَمْرِ الْمَحْسُوسِ مِنْهُ؛ فَلَا تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الْيَسَارِ مَثَلًا، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَفْعَلَهَا فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ"[4].

من خلال ما سبق، يُمكننا إجمال خصائص العمل الخيري في السنة فيما يلي:

١. العبودية: فالعمل الخيري في الإسلام مرتبط بنية الطاعة لله تعالىٰ والإخلاص له عز وجل، وإنما يقوم به المسلم ابتغاء مرضاة الله وطلبا للأجر والثواب؛ إذ ليست العبرة في العمل الخيري بقلّته أو كثرته، وإنّما بنيّة فاعله تلبيةً لمن هو في حاجة إليه، وفي الحديث الشريف: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ،

(١) أخرجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: مسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ٤/ ٢٠٢٦ (٢٦٢٦).

(٢) شرح النووي، ١٦/ ١٧٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ١/ ٥٦١.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٠/ ٤٤٨.

وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[1]، قال النووي رحمه الله في شرحه: "نَبَّهَ ﷺ عَلَىٰ أَنَّ أَفْضَلَهَا التَّوْحِيدُ الْمُتَعَيِّنُ علَىٰ كُلِّ أَحَدٍ، وَالَّذِي لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنَ الشُّعَبِ إِلَّا بَعْدَ صِحَّتِهِ، وَأَدْنَاهَا مَا يُتَوَقَّعُ ضَرَرُهُ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ إِمَاطَةِ الْأَذَىٰ عَنْ طَرِيقِهِمْ"[2].

٢. العموم: العمل الخيري عام لكل المسلمين، كما دلّ عليه حديث "كل سلامىٰ" السابق، فهو لا يقتصر علىٰ الأغنياء دون الفقراء، وإنما يعمّ كل فرد في المجتمع الإسلامي، سواء أكان بالمال أم بالجهد، وهو أيضا عامّ تجاه كل محتاج للمساعدة والمعونة، إنسانا كان أو حيوانا، فعن النبي ﷺ وقد سئل: "وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟" فَقَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[3].

٣. الشمولية: فالعمل الخيري يشمل كل ما فيه خير وصلاح؛ من كف الأذىٰ وإماطته عن الطريق، إلىٰ التطوع بمختلف الأعمال الخيرية دقيقها وجليلها، وقد سبق حديثه ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[4]، وحديث: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[5].

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: مسلم: الإيمان؛ بَابُ شُعَبِ الْإِيمَانِ، ١/ ٦٣ (٥٨).

(٢) شرح النووي، ٢/ ٠٤.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرية رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الأدب؛ بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، ٨/ ٠٩ (٦٠٠٩)، ومسلم: السلام؛ بَابُ فَضْلِ سَاقِي الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا، ٤/ ١٧٦١ (٢٢٤٤).

(٤) متّفق عليه من حديث عديّ بن حاتم رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابٌ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ، ٢/ ١٠٩ (١٤١٧)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، ٢/ ٧٠٣ (١٠١٦).

(٥) أخرجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: مسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ٤/ ٢٠٢٦ (٢٦٢٦).

٤. الوسطيّة والاعتدال: فمع حثّ وترغيب الشريعة في العمل الخيري وجميع أنواع الإنفاق، إلاّ أنّ ذلك لا يكون إلا عن ظهر غنىٰ، وأنّ المسلم يُنفق ما زاد علىٰ حاجته، من غير إضرار بنفسه أو بمن هم في كفالته، ولذلك يقول ﷺ: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»(١)، قال النووي رحمه الله: "وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَنْ تَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَصَدَّقَ بِالْجَمِيعِ يَنْدَمُ غَالِبًا أَوْ قَدْ يَنْدَمُ إِذَا احْتَاجَ وَيَوَدُّ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ، بِخِلَافِ مَنْ بَقِيَ بَعْدَهَا مُسْتَغْنِيًا فَإِنَّهُ لَا يَنْدَمُ عَلَيْهَا، بَلْ يُسَرُّ بِهَا"(٢).

٥. الدوام والاستمرارية: فعندما يُرغّب الشرع في العمل الخيري مهما كان قليلا، فالغرض هو المحافظة عليه مورداً دائماً لتلبية حاجات الناس في الشدّة والرخاء، وليكون عونا لمؤسسات الدولة في كل خير من أجل سدّ حاجات المجتمع، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله عند تفسير هذه الآية: "هَذَا أَمْرٌ بِإِنْفَاقٍ لَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا أَفْضَلُ الْإِنْفَاقِ؛ لِأَنَّ مَقْصِدَ الشَّرِيعَةِ مِنَ الْإِنْفَاقِ إِقَامَةُ مَصَالِحِ ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَحْصُلُ مِنْهُ مِقْدَارٌ لَهُ بَالٌ إِلَّا بِتَعْمِيمِهِ وَدَوَامِهِ لِتَسْتَمِرَّ مِنْهُ مَقَادِيرُ مُتَمَاثِلَةٌ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ، وَإِنَّمَا يَحْصُلُ التَّعْمِيمُ وَالدَّوَامُ بِالْإِنْفَاقِ مِنَ الْفَاضِلِ عَنْ حَاجَاتِ الْمُنْفِقِينَ، فَحِينَئِذٍ لَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَتْرُكُهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَلَا يُخِلُّونَ بِهِ فِي وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِهِمْ، وَهَذِهِ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ وَأَصْلٌ

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في مواضع منها: الزكاة؛ بَابُ لاَ صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًىٰ، ٢/ ١١٢ (١٤٢٦)، وهو متّفق عليه في حديث يرويه حكيمُ بنُ حِزام رضي الله عنه.

(٢) شرح النووي، ٧/ ١٢٥.

اقْتِصَادِيٌّ عُمْرَانِيٌّ"[1].

ومثله حديث «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[2]، فإنما الغرض منه دوام فعل الخير، وعدم الانقطاع عنه بدعوىٰ القلّة أو عدم الجدوىٰ، فهو ترغيبٌ في العمل الخيري للاستمرار عليه منهجا للمسلم في جميع أحواله.

٦. **التشجيع والترغيب:** ذلك أنّ فاعل الخير يحتاج في استمرارية فعله للخير إلىٰ ما يوجهه إلىٰ المداومة علىٰ ذلك، وفي الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَىٰ الفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الغِنَىٰ، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ»[3]. قال الخطابي فيما نقله عنه الإمام النووي: "مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ: أَنَّ الشُّحَّ غَالِبٌ فِي حَالِ الصِّحَّةِ، فَإِذَا شَحَّ فِيهَا وَتَصَدَّقَ، كَانَ أَصْدَقَ فِي نِيَّتِهِ، وَأَعْظَمَ لِأَجْرِهِ، بِخِلَافِ مَنْ أَشْرَفَ عَلَىٰ الْمَوْتِ، وَآيَسَ مِنَ الْحَيَاةِ، وَرَأَىٰ مَصِيرَ الْمَالِ لِغَيْرِهِ؛ فَإِنَّ صَدَقَتَهُ حِينَئِذٍ نَاقِصَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ حَالَةِ الصِّحَّةِ"[4].

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/ ٣٥١.

(٢) أخرجه من حديث أبي ذر رضي الله عنه: مسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ٤/ ٢٠٢٦ (٢٦٢٦).

(٣) متّفق عليه: البخاري: تفسير القرآن؛ بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ﴾ [هود: ٧]، ٢/ ١١٠ (١٤١٩)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ الصَّحِيحِ الشَّحِيحِ، ٢/ ٧١٦ (١٠٣٢).

(٤) شرح النووي، ٧/ ١٢٣.

وقال ابن حجر: "وَذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَغْنِيَاءِ يَشِحُّ بِإِخْرَاجِ مَا عِنْدَهُ مَا دَامَ فِي عَافِيَةٍ، فَيَأْمُلُ الْبَقَاءَ وَيَخْشَىٰ الْفَقْرَ، فَمَنْ خَالَفَ شَيْطَانَهُ، وَقَهَرَ نَفْسَهُ، إِيثَارًا لِثَوَابِ الْآخِرَةِ فَازَ"[1]. فهذا الحديث وغيره دعوة للمسلمين إلىٰ عدم اكتناز الأموال ومنعها من مستحقيها إلا عند تحقق هلاك صاحبها، بل المتوجّب المسارعة في الإنفاق واكتساب الأجر بتفريج هموم الناس وكربهم في جميع الأوقات، وقد مدح الله تعالىٰ المنفقين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

٧. الجزاء والمثوبة: إنّ طبيعة النفس البشرية تميل إلىٰ تلبية أمر من يكفل لها الأجر الوفير، والله تعالىٰ قد رغّب الخلق في أعمال البرّ كلها، وضمن لهم أحسن الجزاء وأوفاه وأجزله، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وفي الحديث القدسي، يقول الله تعالىٰ: «يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»[2]. فهذا الجزاء هو الضامن للالتزام بالأوامر الإلهية وجوبا أو نافلة، وبذلك ينطلق الناس في أعمال الخير بمختلف أنواعها ومجالاتها، ويتحقق التكافل الاجتماعي المنشود.

وبالنظر إلىٰ الخصائص السابقة للعمل الخيري في السنة النبوية، يتبيّن ما له من أهميّة، وهو موضوع المبحث الثالث من هذا الفصل.

---

(١) فتح الباري، ١١/ ٢٧١.

(٢) متّفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في موضعين، منهما: الزكاة؛ بَابُ فَضْلِ صَدَقَةِ الشَّحِيحِ الصَّحِيحِ، ٦/ ٧٣ (٤٦٨٤)، ومسلم –واللفظ له–: الزكاة؛ بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ، ٢/ ٦٩٠ (٩٩٣).

المبحث الثالث

أهمّيّة العمل الخيري في السنة النبوية

تتحدّد أهمّية أيّ عمل بالنظر إلىٰ أهدافه التي يرمي إليها ونتائجه التي يُحقّقها، والعمل الخيري بابٌ من أبواب الأحكام الدينيّة التي جاءت لحفظ مقاصد الشريعة، ولذلك فإنّه يحتلّ مكانة عالية وأهميّة بالغة في الإسلام، ذلك أنّه أحد سبل استقرار حياة المجتمع علىٰ المستويَيْن: الفردي والاجتماعي، والقرآن الكريم ركّز في العديد من آياته علىٰ وحدة الأمّة وتضامنها وتكافلها، قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٢]، وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ويُمكن تلخيص أهمّيّة العمل الخيري في السنة النبوية في العناصر التالية:

❁ **أولاً: طاعة الله ورسوله وما يترتّب عليهما من كسب الأجر والثواب:** يقول الله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ويقول عزّ من قائل: ﴿مَّن ذَاٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التّغابن: ١٧]، فهذه دعوةٌ إلىٰ طاعة الله عز وجلّ بفعل الخير وتقديم العون لمن يستحقّه، وقد ضمن الحقّ تبارك وتعالىٰ

لفاعله الأجر الجزيل، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير آية سورة الحديد: "وَالْاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَىٰ التَّحْرِيضِ مَجَازًا؛ لِأَنَّ شَأْنَ الْمُحَرِّضِ عَلَىٰ الْفِعْلِ أَنْ يَبْحَثَ عَمَّنْ يَفْعَلُهُ وَيَتَطَلَّبُ تَعْيِينَهُ لِيَنُوطَهُ بِهِ أَوْ يُجَازِيهِ عَلَيْهِ. وَالْقَرْضُ الْحَسَنُ: هُوَ الْقَرْضُ الْمُسْتَكْمِلُ مَحَاسِنَ نَوْعِهِ؛ مِنْ كَوْنِهِ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَبَشَاشَةٍ فِي وَجْهِ الْمُسْتَقْرِضِ، وَخُلُوٍّ عَنْ كُلِّ مَا يُعَرِّضُ بِالْمِنَّةِ، أَوْ بِتَضْيِيقِ أَجَلِ الْقَضَاءِ"[1]. وأمّا الأحاديث الشريفة فكثيرة هي التي تحدّثت عن أجر الصدقة، وفضل المنفق في سبيل الله تعالىٰ، وكلّ باذل للخير، صانع للمعروف، كقوله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ"[2].

نقل الحافظ ابن حجر في شرحه عن ابن بَطَّالٍ قوله: "حَقٌّ عَلَىٰ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ لِيَكُونَ رَفِيقَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا مَنْزِلَةَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ"[3].

❁ **ثانيا: التكافل والتراحم والتوادد:** وهذا مبدأ دلّ عليه القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، قال الإمام الرازي رحمه الله: "قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: الْإِخْوَةُ جَمْعُ الْأَخِ مِنَ النَّسَبِ، وَالْإِخْوَانُ جَمْعُ الْأَخِ مِنَ الصَّدَاقَةِ، فَاللهُ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ تَأْكِيدًا لِلْأَمْرِ، وَإِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّ

(١) التحرير والتنوير، ٢٧/ ٣٧٧.

(٢) البخاري من حديث سهل بن سعد في موضعين، منهما: الأدب؛ بَابُ فَضْلِ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا، ٨/ ٠٩ (٦٠٠٥).

(٣) فتح الباري، ١٠/ ٤٣٦.

مَا بَيْنَهُمْ مَا بَيْنَ الْأُخُوَّةِ مِنَ النَّسَبِ وَالْإِسْلَامِ كَالْأَبِ"[1]. وليست الأخوّة علىٰ هذا المعنىٰ إلاّ إشاعة للتكافل والتراحم والتوادد، ومن الأحاديث النبويّة الشريفة الدالّة علىٰ ذلك: قوله ﷺ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[2]، وقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»[3]، وهذا عامّ في كلّ ما يمكن أن يُسهم في إذكاء اللُّحمة بين المسلمين، بتلبية حاجاتهم، وتحقيق المنافع لهم بما يُصلح معاشهم في الحال والمآل، قال الإمام النووي رحمه الله: "هَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِي تَعْظِيمِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَحَثِّهِمْ عَلَىٰ التَّرَاحُمِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعَاضُدِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ"[4]. ونقل الحافظ ابن حجر في شرح الحديث الثاني عن ابن أَبِي جَمْرَةَ قوله: "الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ التَّرَاحُمَ وَالتَّوَادُدَ وَالتَّعَاطُفَ وَإِنْ كَانَتْ مُتَقَارِبَة فِي الْمَعْنَىٰ، لَكِنْ بَيْنَهَا فَرْقٌ لَطِيفٌ؛ فَأَمَّا التَّرَاحُمُ: فَالْمُرَادُ بِهِ أَنْ يَرْحَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأُخُوَّةِ الْإِيمَانِ لَا بِسَبَبِ شَيْءٍ آخَرَ، وَأَمَّا التَّوَادُدُ: فَالْمُرَادُ بِهِ التواصل الجالب للمحبة، كَالتَّزَاوُرِ وَالتَّهَادِي، وَأَمَّا التَّعَاطُفُ فَالْمُرَادُ بِهِ

(١) تفسير الرازي، ٢٨/ ١٠٦.

(٢) متّفق عليه من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: المظالِم والغَصْب؛ بَابُ نَصْرِ المَظْلُومِ، ٣/ ١٢٩ (٢٤٤٦)، ومسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، ٤/ ١٩٩٩ (٢٥٨٥).

(٣) متّفق عليه من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الأدب؛ بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، ٨/ ١٠ (٦٠١١)، ومسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، ٤/ ١٩٩٩ (٢٥٨٦).

(٤) شرح النووي، ١٦/ ١٣٩.

إِعَانَةُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا كَمَا يَعْطِفُ الثَّوْبَ عَلَيْهِ لِيُقَوِّيَهُ"[1].

❁ **ثالثا: تحقيق الاكتفاء الذاتي:** لا يوجد ما يهدّد أمن الأمّة وسلامتها كحاجتها إلىٰ مأكلها ومشربها، ولذلك فالعمل الخيري في الإسلام ركّز في جانب منه علىٰ تحقيق الاكتفاء الذاتي في هذا المجال، ولا أدلّ علىٰ ذلك من أنّ زكاة الفطر تُخرج صاعا من طعام قوت أهل البلد[2]، وهذا له دلالته في توفير المأكل لجميع أفراد المجتمع، حمايةً لهم من الجوع، الذي هو شرٌّ يجرّ الويلات والآفات، وفي الحديث الشريف، أنّه ﷺ سُئل: أيّ الإسلام خير؟ فقال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[3]. وفي القرآن الكريم قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١١-١٤]

❁ **رابعا: تفريج الكربات وتقديم العون في النائبات:** نوردُ هنا حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه المتّفق عليه، والذي أوردناه سابقا، أنّ النبي ﷺ

(١) فتح الباري، ١٠/ ٤٣٩.

(٢) كما جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المتّفق عليه: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَىٰ العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَىٰ، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّىٰ قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَىٰ الصَّلاَةِ». البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابُ فَرْضِ صَدَقَةِ الفِطْرِ، ٢/ ١٣٠ (١٥٠٣)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ زَكَاةِ الْفِطْرِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ، ٢/ ٦٧٧ (٩٨٤).

(٣) متّفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: البخاري في مواضع، منها: الإيمان؛ بَابٌ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الإِسْلاَمِ، ١/ ١٢ (١٢)، ومسلم: الإيمان؛ بَابُ بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ، ١/ ٦٥ (٣٩).

قال: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[1]. و"الملهوف" هو "المكروب"[2]، كما يُطلق علىٰ "الْمُتَحَسِّرِ، وَعَلَىٰ الْمُضْطَرِّ، وعلىٰ المظلوم"[3]. وفي حديث آخر، قال ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ؛ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[4]. قال الإمام النووي: "فِي هَذَا فَضْلُ إِعَانَةِ الْمُسْلِمِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرَبِ عَنْهُ، وَسَتْرِ زَلَّاتِهِ، وَيَدْخُلُ فِي كَشْفِ الْكُرْبَةِ وتفريجها: من أزالها بماله، أوجاهه، أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته وَرَأْيِهِ وَدَلَالَتِهِ"[5]. ولا يخلو عصر من نكبات تحلّ بأهله، وتُذيقهم الويلات، ليأتي العمل الخيري بجميع أشكاله ويساهم في حلّ تلك الأزمات والتّخفيف من حِدّتها، بتضافر جهود الأفراد والجماعات والمؤسّسات ومختلف الهيئات الإغاثيّة، فهو بذلك يُعدّ المورد

(١) متّفق عليه من حديث سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابٌ: عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، ٢/ ١١٥ (١٤٤٥)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٢٨٢.

(٣) شرح النووي، ٧/ ٩٤.

(٤) متّفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: البخاري: المظالِم والغَصْب؛ بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ، ٣/ ١٢٨ (٢٤٤٢)؛ ومسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، ٤/ ١٩٩٦ (٢٥٨٠).

(٥) شرح النووي، ١٦/ ١٣٥.

والمعين الذي لا ينضب في مثل تلك الأوقات العصيبة التي ربما قد تعجز عن استيعابها مؤسّسات الدولة؛ لما فيها غالبا من عنصري المفاجأة واتساع رقعة الأضرار.

❁ **خامسا: إحلال الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع:** لقد أعطىٰ الإسلام أولويّةً للعمل الخيري لما له من فوائد جمّة في تماسك وترابط المجتمع، كما دلّ عليه ما سبق ذكره من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وذلك من خلال تشريعات حكيمة تراوحت بين حكمَيْ الوجوب والاستحباب، فركن زكاة المال مثلا بمختلف مصارفها ليس إلاّ مصدرا لإشاعة الأمن الفردي والاجتماعي، حين يتآزر الأغنياء مع الفقراء، فيُخرجون من مالهم ما يسدّ حاجة هؤلاء الفقراء، ويضمن لهم الحدّ الأدنىٰ من شروط الحياة الكريمة، وهو ما يحفظ كرامتهم ويُغنيهم عن ذلّ السؤال، فينتشر بذلك نوع من التآلف والتضامن يُبعدُ المجتمع عن شبح العنف والجرائم وما ينجرّ عنهما من الهرج والمرج. كما أنّ صدقة التطوّع سبب في تطهير النفس من الحرص والبخل والشحّ، وكل صفة من هذه الصفات سبب في القلق النفسي وعدم الاستقرار، قال تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، ولذلك وجّه النبي ﷺ إلىٰ شغل النفس والوقت بكل عمل صالح في حديثه السابق الذكر: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»(١).

(١) متّفق عليه من حديث سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه: البخاري في مواضع، =

نخلص في نهاية هذا المبحث إلىٰ القول بأنّ العمل الخيري مفهوم شامل لكلّ ما يمكن أن يَبذله فرد أو جماعة أو مؤسسة في سبيل الله، ويُسهم في إسداء خدمة، أو معروف، أو أيَّ نفع من أيِّ نوع كان، وهو لا غنىٰ عنه لصلاح الفرد والمجتمع من الناحيتين: المادية والمعنوية، ولذلك ركّزت عليه مصادر التشريع قرآنا وسنّة، حيث بيّنت السنّة خاصة أهمّيته وطرقه وفضله، بما يُرغّب فيه، ويجعله مطلب كلّ مسلم يبتغي مرضاة الله عز وجلّ، وأيضا للآثار الحسنة المترتّبة علىٰ القيام بمختلف الأعمال الخيرية، والتي سنشرع في الحديث عنها من خلال الفصل الثاني، والمتمثلة في الإصلاح النفسي والإصلاح التربوي.

=

منها: الزكاة؛ بَابٌ: عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، ٢/ ١١٥ (١٤٤٥)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٨).

الفصل الثاني

أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية

لقد أرسل الله تعالىٰ الرسل وأنزل معهم الكتب لصلاح البشرية جمعاء أفرادا وجماعات، وأناط ذلك بتطبيق الأحكام الشرعية بمختلف مراتبها، لتُعين السالك علىٰ تحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة، ولا شكّ أن بناء الفرد لهو من الأهميّة بمكان، حيث لا يستقيم المجتمع إلا باستقامة الفرد، ولا يُمكن الحديث عن صلاح أو إصلاح ما لم يكن الفرد أولوية في أي نيّة أو مبادرة للارتقاء بالمجتمع.

وكذلك الشريعة الإسلامية الغرّاء، قد ركّزت علىٰ بناء جوهر الإنسان وتزكيته وتنقيته من كلّ ما يحول بينه وبين رسالته التي خُلق من أجلها، وهي عبادته تعالىٰ كما قال في كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وسأتحدّث عن أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي والتربوي في السنة النبوية من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الإصلاح وأهميته.

المبحث الثاني: أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية.

المبحث الثالث: أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي من خلال السنة النبوية.

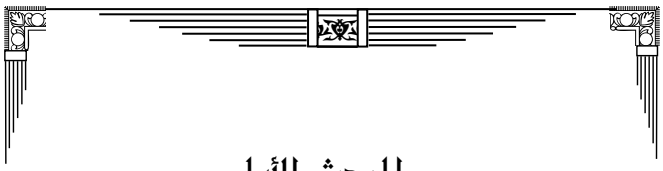

المبحث الأول

مفهوم الإصلاح وأهميته

سأعرض في هذا المبحث ثلاثة عناصر:

أولا: معنىٰ الإصلاح لغة.

ثانيا: مفهوم الإصلاح اصطلاحا.

ثالثا: أهمية الإصلاح.

❁ أولا: معنى الإصلاح لغة:

أصل "الإصلاح" من الثلاثي "صلح"، قال في معجم المقاييس: "أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَىٰ خِلَافِ الْفَسَادِ. يُقَالُ: صَلُحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صَلَاحًا. وَيُقَالُ: صَلَحَ بِفَتْحِ اللَّامِ"(١)، و"الصَلاحُ: نقيض الطلاح"(٢)، و"أصْلَحَه: ضِدُّ أفْسَدَه"(٣)، بمعنىٰ: أقامه(٤).

وقال في لسان العرب: "صَلَحَ: الصَّلاح: ضِدُّ الْفَسَادِ؛ صَلَح يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحًا وصُلُوحًا. وَهُوَ صَالِحٌ وصَلِيحٌ، وَالْجَمْعُ صُلَحاءُ وصُلُوحٌ؛ وصَلُح:

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ٣/ ٣٠٣.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٣/ ١١٧.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٢٢٩.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ٤/ ١٢٥.

كصَلَح، وَرَجُلٌ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ مِنْ قَوْمٍ صُلَحاء، ومُصْلِح فِي أَعماله وأُموره، وَقَدْ أَصْلَحه اللهُ، وَرُبَّمَا كَنَوْا بِالصَّالِحِ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ إِلىٰ الْكَثْرَةِ، والإِصلاح: نَقِيضُ الإِفساد. والمصْلَحة: الصَّلاحُ. والمصلَحة وَاحِدَةُ الْمَصَالِحِ. والاسْتِصْلاح: نَقِيضُ الِاسْتِفْسَادِ. وأَصْلَحَ الشيءَ بَعْدَ فَسَادِهِ: أَقامه. وأَصْلَحَ الدَّابَّةَ: أَحسن إِليها فَصَلَحَتْ"[1].

وفي المفردات للراغب: "الصَّلَاحُ: ضدّ الفساد، وهما مختصّان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسّيّئة. قال تعالىٰ: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]"[2].

فالإصلاح بمعناه اللغوي إذن يأتي بعد معاينة فساد ما، ليحل محله.

❁ ثانيا: مفهوم الإصلاح اصطلاحا

وردت لفظة "الإصلاح" في القرآن الكريم بغير هذا الوزن في بضع وثلاثين موضعا، منها: "مُصلِحون، أصلَحوا، أصْلَحَ، مُصْلِح، تُصْلِحوا، أصلحا، صُلْحا..."، وأما "الإصلاح" بهذا الوزن، فوردت في سبعة مواضع هي:

١. قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

٣. قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ﴾ [النساء: ٣٥].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٥١٦-٥١٧.

(٢)المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٤٩٠.

٤. قوله تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

٥. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

٦. قوله تعالىٰ علىٰ لسان شعيب عليه السلام إلىٰ مدين: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٨٥].

٧. قوله تعالىٰ أيضا علىٰ لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

مما يُستفاد من الآيات السابقة أنّ الإصلاح له حالتان:

١-إما أن يكون هو الأساس والأصل، وهو السابق وهو الأوّل، ومن ثمّ جاء النهي عن استبداله بالفساد، كما في الآيتين: الخامسة والسادسة.

٢-وإما أن يأتي بعد الفساد، فيكون مأمورا به؛ لاستبدال ذلك الفساد بما هو أصل، وهو الإصلاح، وهو هنا يتطابق مع المعنىٰ اللغوي.

علىٰ أنّ الإصلاح في كلتا الحالتين يشمل في مفهومه الجانبين: المادي والمعنوي.

وقد جاء في كتاب الكليات للكفوي: "الصَّلَاح: هُوَ سلوك طَرِيق الْهدىٰ، وَقيل: هُوَ استقامة الْحَال علىٰ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْعقل"، والعقل يدعو إلىٰ اتّباع الشرع، قال: "الصالح: الْمُسْتَقيم الْحَال فِي نَفسه، وَقَالَ بَعضهم: الْقَائِم بِمَا عَلَيْهِ من

حُقُوق الله وَحُقُوق الْعباد"[1].

ومن هنا يمكن صياغة تعريف للإصلاح بأنه:

"عملية تغيير في الواقع أو الحال من أجل الوصول إلىٰ أحسن النتائج وأوفقها وأكثرها مواءمة مع العقل والشرع".

وهذا التغيير إنما يكون عند الإنسان –وهو المنطلق والأساس- في السلوك المتمثّل في الأفعال والانفعالات الظاهرة، وكذلك في الأفكار وعمليات الاستدلال والتفاعل مع مختلف الجوانب المعنوية[2]، كما قد يكون التغيير في النسيج التربوي والاجتماعي للمجتمع.

وبهذا المعنىٰ، يكون للإصلاح أهمية بالغة، بالنظر إلىٰ الحاجة إليه، لتغيير ما يقع من فساد، أو انحراف عن الطريق المستقيم، وفي العنصر التالي حديث عن هذه الأهمّيّة.

❁ ثالثا: أهمية الإصلاح

خلق الله تعالىٰ الإنسان، وجعله جسدا وروحا، ولا بد لكل منهما من غذاء يضمن له نجاته واستمراريته، فغذاء الجسد بالمأكل والمشرب وسائر الحاجات، والغذاء الروحي بالإيمان بالله تعالىٰ وبالتزكية، قال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-٩]، قال في التحرير

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، ص٥٦١.

(٢) وهذا هو الجانب الذي يُعنىٰ به علم النفس. يُنظر: مبادئ علم النفس، سامي حسن الختاتنة وآخران، ص١٥-١٦؛ وعلم النفس، أحمد يحيىٰ الزق، ص١٧؛ وأصول علم النفس، محمد شحاتة ربيع، ص٣٢-٣٣.

والتنوير: "إِنَّ مِنْ آثَارِ تَسْوِيَةِ النَّفْسِ إِدْرَاكَ الْعُلُومِ الْأَوَّلِيَّةِ، وَالْإِدْرَاكُ الضَّرُورِيُّ الْمُدَرَّجُ ابْتِدَاءً مِنَ الِانْسِيَاقِ الْجِبِلِيِّ نَحْوَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ؛ كَطَلَبِ الرَّضِيعِ الثَّدْيَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَمِنْهُ اتِّقَاءُ الضَّارِّ، كَالْفِرَارِ مِمَّا يُكْرَهُ، إِلَىٰ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ إِلَىٰ أَوَّلِ مَرَاتِبِ الِاكْتِسَابِ بِالنَّظَرِ الْعَقْلِيِّ، وَكُلُّ ذَلِكَ إِلْهَامٌ"[(١)].

فالإنسان أمام طريقين: طريق التقوىٰ وطريق الفجور، ولزوم طريق التقوىٰ لابد له من المجاهدة والعمل علىٰ تجنّب غواية الشيطان بكل أشكالها، وفي الحديث الصحيح: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو؛ فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» [(٢)]، والمعنىٰ: "كُلُّ إِنْسَانٍ يَسْعَىٰ بِنَفْسِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعُهَا لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِطَاعَتِهِ، فَيُعْتِقُهَا مِنَ الْعَذَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعُهَا لِلشَّيْطَانِ وَالْهَوَىٰ بِاتِّبَاعِهِمَا، فَيُوبِقُهَا، أَيْ: يُهْلِكُهَا"[(٣)].

ولأنّ إبليس توعّد بني آدم بالإغواء وإخراجهم عن الطريق المستقيم، وهم في ذلك بين طائع مستسلم مصدّق بوعوده الكاذبة، وبين عصيّ علىٰ كل وسوسة وأمر بالمنكر ونهي عن المعروف، وبين هؤلاء وهؤلاء من يقع في المعاصي، لكنه يتراجع ويتوب، وهم من يصلحون ما أفسدوه بوسوسة الشيطان أو بطاعة النفس الأمّارة بالسوء، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، وقال جلّ وعلا: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٣٠/ ٣٧٠.

(٢) أخرجه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: مسلم: الطهارة: بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، ١/ ٢٠٣ (٢٢٣).

(٣) شرح النووي، ٣/ ١٠٢.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥]، إلىٰ غير ذلك من الآيات الكريمة التي تشير إلىٰ الإصلاح علىٰ أنه ركيزة من ركائز الإيمان؛ إذ هو سبيل تجسيد الإيمان وتحقيق عبادة الله تعالىٰ وخلافته في أرضه، فالصلاح كثيرا ما جاء مقترنا بالإيمان، من مثل قوله تعالىٰ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وهذا يدلّ علىٰ أهميته وضرورته في الحياة الإنسانية، ما وُجد الخير والشر.

ولذلك كانت العناية بالإصلاح وإيجاد السبل إليه، من خلال ابتكار الوسائل المساعدة عليه، والتي من أهمها: الانشغال بالعمل الخيري، والذي- لا شك لله -أنّ له دورا كبيرا في الإصلاح النفسي والتربوي، وهو موضوع المبحثين الآتيين.

المبحث الثاني

أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال السنة النبوية

فطر الله تعالىٰ النفس البشرية علىٰ الاستقامة من أول خلقها، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]، وفي الحديث الشريف: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»[(١)].

فالنفس البشرية إذن يطرأ عليها ما يحيدُ بها عن الصراط المستقيم، فتحتاج إلىٰ الإصلاح والتقويم، وهذه مهمة الرسل عليهم السلام، ومن بعدهم المصلحين في كل زمان ومكان، وفي ديننا الحنيف دلائل للإصلاح النفسي للإنسان، من خلال مختلف التشريعات، التي تحثّ الفرد كما الجماعة علىٰ إصلاح الذات.

والعمل الخيري باب واسع لإصلاح النفس، وتحريرها من قيود الانحراف والآثام، نجد ذلك بالنظر إلىٰ نصوص الكتاب الكريم، كقوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في مواضع، منها: الجنائز؛ بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَىٰ الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، ٢/ ٩٤ (١٣٥٨).

هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]؛ ففيه إشارة إلىٰ أن البخل وعدم الإنفاق إنما عائد ضرره علىٰ صاحبه؛ "لِأَنَّ الْبَاخِلَ اعْتَقَدَ أَنَّهُ مَنَعَ مَنْ دَعَاهُ إِلَىٰ الْإِنْفَاقِ، وَلَكِنَّ لَازِمَ بُخْلِهِ عَادَ عَلَيْهِ بِحِرْمَانِ نَفْسِهِ مِنْ مَنَافِعِ ذَلِكَ الْإِنْفَاقِ"[(١)].

وفي السنة النبويّة العديد من التوجيهات والإرشادات للإصلاح النفسي، والتي يمكن أن نذكر منها:

❁ أولا: تطهير النفس من مرض الشح والبخل:

جاء في الحديث المتفق عليه أن الرسول ﷺ قال: «مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَىٰ تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَىٰ جِلْدِهِ، حَتَّىٰ تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَتَّسِعُ»[(٢)].

قال ابن حجر في شرح الحديث نقلا عن الخطابي وغيره: "هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ؛ فَشَبَّهَهُمَا بِرَجُلَيْنِ أَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَلْبَسَ دِرْعًا يَسْتَتِرُ بِهِ مِنْ سِلَاحِ عَدُوِّهِ فَصَبَّهَا عَلَىٰ رَأْسِهِ لِيَلْبَسَهَا، وَالدُّرُوعُ أَوَّلُ مَا تَقَعُ عَلَىٰ الصَّدْرِ وَالثَّدْيَيْنِ إِلَىٰ أَنْ يُدْخِلَ الْإِنْسَانُ يَدَيْهِ فِي كُمَّيْهَا، فَجَعَلَ الْمُنْفِقَ كَمَنْ لَبِسَ دِرْعًا سَابِغَةً فَاسْتَرْسَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ سَتَرَتْ جَمِيعَ بَدَنِهِ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: "حَتَّىٰ تَعْفُوَ أَثَرَهُ"، أَيْ تَسْتُرُ جَمِيعَ بَدَنِهِ، وَجُعِلَ الْبَخِيلُ كَمَثَلِ رَجُلٍ غُلَّتْ يَدَاهُ إِلَىٰ

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٦/ ١٣٧.

(٢) البخاري واللفظ له في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابُ مَثَلِ الْمُتَصَدِّقِ وَالبَخِيلِ، ٢/ ١١٥ (١٤٤٣)؛ ومسلم: الزكاة؛ بَابُ مَثَلِ الْمُنْفِقِ وَالْبَخِيلِ، ٢/ ٧٠٨ (١٠٢١).

عُنُقِهِ، كُلَّمَا أَرَادَ لُبْسَهَا اجْتَمَعَتْ فِي عُنُقِهِ فَلَزِمَتْ تَرْقُوَتَهُ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: "قَلَصَتْ" أَيْ تَضَامَّتْ وَاجْتَمَعَتْ، وَالْمُرَادُ أَنَّ الْجَوَادَ إِذَا هَمَّ بِالصَّدَقَةِ انْفَسَحَ لَهَا صَدْرُهُ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ، فَتَوَسَّعَتْ فِي الْإِنْفَاقِ، وَالْبَخِيلُ إِذَا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالصَّدَقَةِ شَحَّتْ نَفْسُهُ، فَضَاقَ صَدْرُهُ، وَانْقَبَضَتْ يَدَاهُ"[1]. ففي هذا المثل توضيح لصورة كلٍّ من المنفق والبخيل، وكيف أنّ نفس المنفق طيبة مسترسلة، لا يضايقها بخل خوف فقر، أو ذهاب غنىٰ، بخلاف البخيل، فإنّ نفسه ضيّقة حرجة، فهو لا يزال كذلك، حبيس شحه وبخله، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

❁ ثانيا: التخلّص من الأثرة والأنانية:

وهذا الأثر وإن كان قريبا من سابقه، إلا أنه يتميّز عنه بكون صاحب الصدقة أو الإنفاق يتخلّص من مرض الأنانية وحب الذات، وعدم التفكير في الآخرين، وهو ما يعود بالبؤس علىٰ صاحبه، وبحرمان الآخرين من حقّهم في المال الذي استخلفه الله بعض خلقه، ومن الأحاديث الدالة علىٰ ذلك، قول النبيّ ﷺ لأسماء رضي الله عنها: «أَنْفِقِي، وَلاَ تُحْصِي، فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلاَ تُوعِي، فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ» [2]. ومعناه "النَّهْيُ عَنِ الْإِمْسَاكِ وَالْبُخْلِ، وَعَنِ ادِّخَارِ الْمَالِ فِي الْوِعَاءِ (...) [و] هُوَ مِنْ بَابِ مُقَابَلَةِ اللَّفْظِ بِاللَّفْظِ لِلتَّجْنِيسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وَمَعْنَاهُ: يَمْنَعُكِ كَمَا مَنَعْتِ، وَيَقْتُرُ عَلَيْكِ كَمَا

(١) فتح الباري، ٣/ ٣٠٦.

(٢) متفق عليه: البخاري واللفظ له في موضعين، أحدهما: الهِبَة وَفَضْلهَا وَالتَّحْرِيض عَلَيْهَا؛ بَابُ هِبَةِ المَرْأَةِ لِغَيْرِ زَوْجِهَا وَعِتْقِهَا، ٣/ ١٥٨ (٢٥٩١)؛ ومسلم: الزكاة؛ بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ وَكَرَاهَةِ الْإِحْصَاءِ، ٢/ ٧١٣ (١٠٢٩).

قَتَرْتِ، وَيُمْسِكُ فَضْلَهُ عَنْكِ كَمَا أَمْسَكْتِهِ"[1]، وادّخار المال عادة يكون لأثرة وأنانيّة تمنع صاحبها عن البذل والعطاء، فيأتي العمل الخيري في صورة الصدقة ليدفع عن الإنسان هذا المرض، الذي إن استحكم حرم صاحبه من الأجر الوفير في الدنيا والآخرة.

❁ ثالثا: التحفيز على كسب الأجر ورفع الدرجات:

ومن ذلك حديث السيدة عائشة رضي الله عنها لما سألها النبي ﷺ عن الشاة التي ذبحوها: «مَا بَقِيَ مِنْهَا»؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا»[2]. فالنفس لأول وهلة -وهو الظاهر- تعتقد أن الإنفاق نقص من المال، في حين أنه ذخر وأجر لصاحبه يوم القيامة. ومثله قوله ﷺ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَىٰ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَىٰ، أَوْ أَعْطَىٰ فَاقْتَنَىٰ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»[3]. ومعنىٰ "فَاقْتَنَىٰ"، أي: "ادَّخَرَ ثَوَابَهُ"[4].

❁ رابعا: تعزيز الثقة بالنفس وعدم تحقير فعل الخير:

قد يحتقر الإنسان الصغائر من المعروف، فتأتي الأحاديث النبوية لتعزّز ثقته بنفسه وبإنفاقه، وأن القليل من الإنفاق قد يكون سببا في دخوله الجنة ونجاته من

---

(١) شرح النووي، ٧/ ١١٩.

(٢) الترمذي في سننه وصححه: أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ؛ باب، ٤/ ٦٤٤ (٢٤٧٠).

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: مسلم: الزهد والرقائق -من دون باب-، ٤/ ٢٢٧٣ (٢٩٥٩).

(٤) شرح النووي، ١٨/ ٩٤.

النار، ومن ذلك: قوله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[1]. فشقّ التمرة وهو نصفها علىٰ صغره وقلته، لكنّه قد يكون وقاية لصاحبه من النار، فلا يبخل به علىٰ نفسه في الدنيا بأن يتصدّق به، ابتغاء الأجر والمثوبة من الله تعالىٰ، كما أنّ الكلمة الطيبة، والتي ليس فيها أي بذل مالي، لها من الأثر والأجر كما للصدقة بالمال، وقد نقل الحافظ عن ابن بطال قوله: "وَجْهُ كَوْنِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ صَدَقَةً؛ أَنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ يَفْرَحُ بِهِ قَلْبُ الَّذِي يُعْطَاهُ، وَيَذْهَبُ مَا فِي قَلْبِهِ، وَكَذَلِكَ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ، فاشتبها من هَذِه الْحَيْثِيَّة"[2].

❁ خامسا: الالتزام بالواجبات والمسؤوليات:

كثيرا ما يستسلم الناس للكسب السهل، فربما وقعوا في التسوّل واستعطاء الناس، إلاّ أنّ الإنفاق والعمل الخيري بشكل عام من شأنه أن يعزّز في النفس روح المسؤولية وأداء الواجبات، ويخلّصها من الكسل والتواكل والاعتماد علىٰ الغير، نجد ذلك في مثل قوله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَىٰ كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ»[3]، وفي الحديث الذي أخرجه الشيخان: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًىٰ،

---

(١) متفق عليه من حديث عديّ بن حاتم رضي الله عنه: البخاري واللفظ له في مواضع، منها: الأدب؛ بَابُ طِيبِ الكَلاَمِ، ٨/ ١١ (٦٠٢٣)؛ ومسلم: الزكاة؛ بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، ٢/ ٧٠٣ (١٠١٦).

(٢) فتح الباري، ١٠/ ٤٤٩.

(٣) أخرجه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: مسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ، وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَىٰ هِيَ الْآخِذَةُ، ٢/ ٧١٨ (١٠٣٦).

وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[1]. ففي هذين الحديثين " تَقْدِيمُ نَفَقَةِ نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ لِأَنَّهَا مُنْحَصِرَةٌ فِيهِ بِخِلَافِ نَفَقَةِ غَيْرِهِمْ"[2]، ولازم الإنفاق علىٰ من هم في كفالته القيام بالمسؤولية والواجب اتجاههم، وهذا يربي في النفس الاعتماد علىٰ الذات، والسعي لكسب الرزق، والتصدق بما زاد علىٰ الحاجة.

❁ سادسا: الحثّ على العمل وذمّ البطالة:

تعاني المجتمعات من ارتفاع نسب البطالة، خاصة بين فئة الشباب، والسبب ليس بالضرورة عدم توافر فرص العمل، وإنما كثيرا ما يكون العزوف عن العمل إما تكاسلا أو تكبّرا، فيوجّهنا النبي الكريم ﷺ إلىٰ أنّ العمل والكسب ببذل الجهد مهما كان ذلك العمل متواضعا، لسدّ حاجة صاحبه أولا، ولنفع الغير ثانيا، خير من السؤال وإراقة ماء الوجه، قال ﷺ: «لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[3].

---

(١) البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ له، في مواضع، منها: النفقات؛ بَابُ وُجُوبِ النَّفَقَةِ عَلَىٰ الأَهْلِ وَالعِيَالِ، ٧/ ٦٣ (٥٣٥٥)؛ ومسلم من حديث حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رضي الله عنه: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ، وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَىٰ هِيَ الْآخِذَةُ، ٢/ ٧١٧ (١٠٣٤).

(٢) شرح النووي، ٧/ ١٢٥.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم: البخاري: الزكاة؛ بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] وَكَمُ الغِنَىٰ، ٢/ ١٢٥ (١٤٨٠)؛ ومسلم: الزكاة؛ بَابُ كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ، ٢/ ٧٢١ (١٠٤٢).

❁ **سابعا: إسعاد النفس بخدمة الآخرين:**

السعادة مبتغىٰ ورجاء جميع الناس، ولكنّ الطريق إليها يختلف باختلاف رؤية كل شخص، ولذلك تتعدّد الوسائل والسبل التي يسلكها الناس لبلوغ ما يعتقدون أن فيه سعادتهم، ولكن التجربة أثبتت أنّ خدمة الآخرين وإدخال السرور علىٰ قلوبهم من أهم أسباب سعادة النفس؛ لأنها فُطرت علىٰ حبّ الخير، وفي الحديث الشريف: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّىٰ تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ[1]. وفي حديث السيدة عائشة رضي الله عنه عن المسكينة التي شقّت التمرة بين ابنتيها، قال الرسول ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»[2]. وفي الحديث الآخر المتّفق عليه: «السَّاعِي عَلَىٰ الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»[3]. فهذا الأجر الجزيل والثواب العظيم لمن يقوم علىٰ مؤنة غيره لدليل علىٰ أنّ النفس تسعد بسعادة غيرها ممن تكون سببا في سعادتهم، وهو أيضا تشجيع علىٰ البذل والعطاء.

فهذه بعض الآثار النفسية للعمل الخيري، وهي آثار جليلة، تُسهم في استقامة النفس، وشغلها بالنافع والمفيد لها ولغيرها.

وفي المبحث الثالث من هذا الفصل أعرض للآثار التربوية للعمل الخيري.

---

(١) مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْبَنَاتِ، ٤/ ٢٠٢٧ (٢٦٣١).

(٢) مسلم: الْبِرّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب؛ بَابُ فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْبَنَاتِ، ٤/ ٢٠٢٧ (٢٦٣٠).

(٣) البخاري في مواضع، منها: النفقات؛ بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَىٰ الأَهْلِ، ٧/ ٦٢ (٥٣٥٣)؛ ومسلم: الزُّهْد وَالرَّقَائِق؛ بَابُ الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ، ٤/ ٢٢٨٦ (٢٩٨٢).

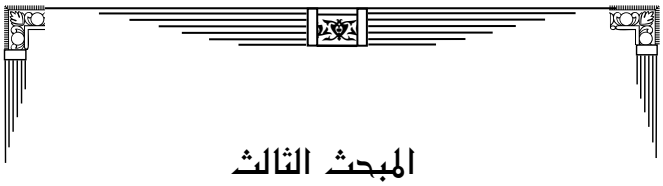

المبحث الثالث

أثر العمل الخيري في الإصلاح التربوي من خلال السنة النبوية

اختلفت المراجع في معرفة أصل التربية من الناحية اللغوية إلىٰ عدّة معان، منها: نما وزاد، من ربا يربو، أو نشأ وترعرع، من ربىٰ يَرْبي، أو أصلح الشيء، من ربَّ أو رَبَب، يُربّي.

ولعلّ لفظ "التربية" يرجع إلىٰ هذه المعاني جميعا[1].

أما المعنىٰ الاصطلاحي فهو أشدّ اختلافا، بالنظر إلىٰ فلسفة وبيئة كل تعريف، وأيضا بالنظر إلىٰ أغراض التربية، ولكن يمكن القول إنها تعني في أحدث مفاهيمها: "عمليّة التكيّف أو التفاعل بين المتعلِّم (الفرد) وبيئته التي يعيشُ فيها، أي أنّها عمليّة صقل وتشكيل"[2].

وعليه، فالتربية بهذا المفهوم عنصر مهمّ في صلاح وإصلاح الفرد والمجتمع، ولذلك تولي الدول والحكومات أولويّة بالغة للمجال التربوي ومعه التعليمي، باعتباره أساس التغيير والتجديد والإصلاح في المجتمعات، وباعتباره الخطوة

(١) انظر: أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة، صبحي حمدان أبو جلالة ومحمد حميدان العبادي، ص١٧-١٨.

(٢) أسس التربية، نذير العبادي، ص٥.

الأولىٰ والسابقة علىٰ أي تحوّل منهجي في مسارات الأمم.

ونبيّنا الكريم صلوات ربي وسلامه، إنّما بُعث مربيا وهاديا ومُصْلِحا للمجتمع البشري بأكمله، وقد تميّز منهجه التربوي بأسس واضحة المعالم، يمكن استخلاصها من القرآن والسنة، والذي يهمّنا في هذا المقام، هو جانب العمل الخيري، وأثره في تربية الفرد والجماعة.

وإن كان ما سبق ذكره في المبحث الثاني من أثر السنة النبوية في الإصلاح النفسي هو جانب من أثرها كذلك في الجانب التربوي، ذلك أنّ هناك تكاملا بين الجانبين النفسي والتربوي؛ لأنّ التربية تختص بدراسة نمو الإنسان وتفاعله مع بيئته، وهو ما يعني بالضرورة التعرّض للجانب النفسي في سلوكه وتأثيره وتأثّره من الناحية التربوية(١).

والملاحظ في مجال العمل الخيري، أنّ الإسلام سعىٰ إلىٰ ترسيخ هذا المفهوم في الضمير الفردي والجمعي للأمة الإسلامية، وتشريع الأحكام التي تراوحت بين الفرض والوجوب، والندب والاستحباب، ليكون التكامل البشري، وتتحقّق مهمّة الخلافة في الأرض، ولذلك امتدح الله عباده المنفقين حتىٰ صار الإنفاق لهم سجيّة، فقال عزّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، وفي آية أخرىٰ يقول المولىٰ عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ

(١) انظر في علاقة التربية بعلم النفس: أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة، صبحي حمدان أبو جلالة ومحمد حميدان العبادي، ص٤٠-٤١؛ ومدخل إلىٰ التربية، سامي سلطي عريفج، ص٣٦-٣٨.

وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ونجد في مثل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] أنّ هذه الآية اشتملت علىٰ أصول فَضَائِلِ صِفَاتِ الْمُتَدَيِّنِينَ، كما يقول ابن عاشور، والتي منها "الإنفاق" للدلالة علىٰ أنه ملازم لهم؛ فهم ينفقون أموالهم طاعةً لله وابتغاء مرضاته، وَهذا الإنفاق "هُوَ أَصْلُ إِقَامَةِ أَوَدِ الْأُمَّةِ بِكِفَايَةِ حَاجِ الْمُحْتَاجِينَ، وَهُوَ قُرْبَةٌ مَالِيَّةٌ وَالْمَالُ شَقِيقُ النَّفْسِ"(١).

ومن إرشادات وتوجيهات السنة النبوية في مجال الإصلاح التربوي، يمكن الإشارة إلىٰ ما يلي:

❁ أولا: البذل والإنفاق عند المقدرة:

قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِي أَنْ لاَ يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثٌ، وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ»(٢). فهذا الحديث الشريف يوجّهنا إلىٰ استحباب إنفاق المال في وجوه الخير، وتعويد المرء نفسه علىٰ ذلك، بحيث ينمو في شعوره الداخلي حب التصدّق وسدّ حاجات الناس، والمسارعة والمسابقة في أبواب الخير.

❁ ثانيا: المبادرة وروح الابتكار:

ففي حديث لجابر بن عبد الله رضي الله عنه "أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لِي غُلاَمًا نَجَّارًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتِ» فَعَمِلَتِ

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣/ ١٨٥.

(٢) البخاري من حديث أبي هريرة أبي ذر رضي الله عنهما في مواضع، منها: كِتَاب فِي الِاسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ؛ بَابُ أَدَاءِ الدَّيْنِ، ٣/ ١١٦ (٢٣٨٩).

المِنْبَرَ"[1]. فهذه المرأة بادرت من تلقاء نفسها عندما سألت النبي ﷺ، ومن ثمّ أمرت غلامها النجار بصناعة وابتكار المنبر، وهكذا أفعال الخير، وقضاء حوائج الناس، تُبنىٰ في كثير من الأحيان علىٰ المبادرة، خاصة تجاه أولئك الذي وصفهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

❁ ثالثا: تربية الحس الجماعي:

كما في قوله ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»[2]. فقد ضرب الرسول ﷺ هذا المثل للأشعريين إذا أرملوا أي فني طعامهم[3]، للدلالة علىٰ أنّ التفكير في الآخرين لبّ التربية والعمل الجماعي، والذي من ثمرته بناء مجتمع متماسك، يفزع بعضه لبعض، قال النووي في شرحه: "فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ الْأَشْعَرِيِّينَ، وَفَضِيلَةُ الْإِيثَارِ وَالْمُوَاسَاةِ، وَفَضِيلَةُ خَلْطِ الأزواد في السفر، وفضيلة جمعها في شيء عِنْدَ قِلَّتِهَا فِي الْحَضَرِ ثُمَّ يَقْسِمُ"[4]. وبهذا تتطوّر المجتمعات وترتقي لتبلغ أعلىٰ درجات الحضارة.

---

(١) البخاري: الصلاة؛ بَابُ الِاسْتِعَانَةِ بِالنَّجَّارِ وَالصُّنَّاعِ فِي أَعْوَادِ المِنْبَرِ وَالمَسْجِدِ، ١/ ٩٧ (٤٤٩).

(٢) متفق عليه من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه واللفظ للبخاري: البخاري: الشركة؛ بَابُ الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنِّهْدِ وَالعُرُوضِ، ٣/ ١٣٨ (٢٤٨٦)؛ ومسلم: فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ؛ بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الْأَشْعَرِيِّينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ٤/ ١٩٤٤ (٢٥٠٠).

(٣) شرح النووي، ١٦/ ٦٢.

(٤) شرح النووي، ١٦/ ٦٢.

❁ رابعا: الجزاء من جنس العمل:

وهذه قاعدة جليلة، ربّانا الإسلام عليها، وأنّ من يصنع صنيعا، يلق جزاءه، إن في الدنيا أو الآخرة، فهي بذلك تمثّل دافعا وحافزا للبذل والعطاء، ومن الأحاديث الدالة عليها، قوله ﷺ: «مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ»(١). أي "بَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ مِثْلَهُ فِي مُسَمَّىٰ الْبَيْتِ... [أو] أَنَّ فَضْلَهُ عَلَىٰ بُيُوتِ الْجَنَّةِ كَفَضْلِ المسجد علىٰ بيوت الدنيا"(٢)،

❁ خامسا: استغلال الوقت:

كثير من الناس يقعون في مذمّة تضييع الوقت وعدم الاستفادة منه نتيجة الفراغ الذي يعانونه بشكل دائم أو متقطّع، فيأتي العمل الخيري ليسد هذا الفراغ، ويضع الحل الأمثل لهذه المشكلة، بخلق التوازن في حياة الإنسان، من خلال خدمة الآخرين، وشعور النفس بأنّ لها حاجة ومنفعة، مما يُكسب الثقة في النفس، وذلك في مثل قوله ﷺ الذي ذكر سابقا: «كُلُّ سُلاَمَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَىٰ الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»(٣)، فهذه أنواع للعمل

(١) متفق عليه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه واللفظ للبخاري: البخاري: الصلاة؛ بَابُ مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا، ١/ ٩٧ (٤٥٠)؛ ومسلم: الْمَسَاجِد وَمَوَاضِع الصَّلَاةَ؛ بَابُ فَضْلِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْحَثِّ عَلَيْهَا، ١/ ٣٧٨ (٥٣٣).

(٢) شرح النووي، ٥/ ١٤-١٥.

(٣) متّفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الجهاد والسِّيَر؛ بَابُ مَنْ أَخَذَ بِالرِّكَابِ وَنَحْوِهِ، ٤/ ٥٦ (٢٩٨٩)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ =

الخيري، سمّاها النبي ﷺ صدقة؛ لما فيها من تقديم العون والمواساة للغير، وهكذا يمكن ان تتّسع لتشمل كلّ عمل تطوّعي يقوم به الإنسان في الحالات العادية او عند حلول الكوارث والنكبات.

❁ سادسا: استثمار المواهب والطاقات:

النفس البشرية طاقة مكنونة، وقد لا يعرف صاحبُها قيمتها إلاّ إذا استُثيرت، وفُسح لها المجال للإبداع واستغلال القدرات، ولذلك كثيرا ما يكتشف بعض الناس ذواتهم من خلال العمل الخيري؛ لأنهم وجدوا الفرصة لإطلاق طاقاتهم واستثمار مواهبهم وإبداعاتهم، وخير مثال علىٰ ذلك من السنة النبوية الشريفة، قوله ﷺ: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ» قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[1]. فهذا التدرّج في شغل النفس واستغلال قدراتها دعوة إلىٰ اكتشاف مكنوناتها، واستغلالها بصورة أمثل، مهما كان صاحبها من حيث الذكاء والفطنة؛ لأن كل إنسان هو مميّز بالعقل الذي هو آلة التفكير والإبداع، فمتىٰ ما استعمله وفكّر وتدبّر وعمل به في جميع أبواب الخير، أمكنه من الوصول إلىٰ أفضل النتائج وأروعها، ويدل عليه لفظ العموم في قوله ﷺ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ»، ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن أبي جمرة قوله في شرح هذا الحديث: "تَرْتِيبُ هَذَا

= نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٩).

(١) متّفق عليه من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: البخاري في مواضع، منها: الزكاة؛ بَابٌ: عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، ٢/ ١١٥ (١٤٤٥)، ومسلم: الزكاة؛ بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَىٰ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/ ٦٩٩ (١٠٠٨).

الْحَدِيثِ أَنَّهُ نَدَبَ إِلَىٰ الصَّدَقَةِ، وَعِنْدَ الْعَجْزِ عَنْهَا نَدَبَ إِلَىٰ مَا يَقْرُبُ مِنْهَا، أَوْ يَقُومُ مَقَامَهَا، وَهُوَ الْعَمَلُ وَالِانْتِفَاعُ، وَعِنْدَ الْعَجْزِ عَنْ ذَلِكَ نَدَبَ إِلَىٰ مَا يَقُومُ مَقَامَهُ وَهُوَ الْإِغَاثَةُ، وَعِنْدَ عدم ذَلِك نَدَبَ إِلَىٰ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ، أَيْ مِنْ سِوَىٰ مَا تَقَدَّمَ؛ كَإِمَاطَةِ الْأَذَىٰ، وَعِنْدَ عَدَمِ ذَلِكَ نَدَبَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، فَإِنْ لَمْ يُطِقْ فَتَرْكُ الشَّرِّ وَذَلِكَ آخِرُ الْمَرَاتِبِ"[1].

فهذه بعض من آثار العمل الخيري في الإصلاح التربوي من خلال السنة النبوية، ولعلّ هناك تداخلا واضحا بينها وبين آثار العمل الخيري في الإصلاح النفسي، لما بينهما من تكامل، والسنة النبوية المطهرة مصدر غزير في الإصلاح بجميع أنواعه.

وأصل الآن إلىٰ خاتمة البحث وما تضمّنته من نتائج وتوصيات.

(١) فتح الباري، ٣/ ٣٠٨-٣٠٩.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يمكن أن نَخْلُصُ إلىٰ جملة من النتائج والتوصيات، هي:

❁ أولا: النتائج:

١. إنّ العمل الخيري ركيزة من ركائز الإسلام؛ حيث إنّه لا غنىٰ عنه في المجتمع من أجل تلبية حاجات ومتطلبات الناس علىٰ اختلافهم.

٢. جُعل العمل الخيري مجالا للتنافس والتسابق لنيل أعلىٰ الدرجات؛ حتىٰ يكون معينا لا ينضب، وموردا لا ينقطع في مؤازرة الناس بعضهم لبعض.

٣. تميّز العمل الخيري في السنة النبوية بعدّة خصائص، كالعبودية، والعموم، والشمولية، والوسطيّة والاعتدال، لتحقيق المقاصد الكبرىٰ للشريعة الإسلامية، وهي خصائص لا يُمكن إلاّ أن تكون ربّانيّة.

٤. للعمل الخيري في السنة النبوية أهمية بالغة تجلّت بوضوح من خلال الأحاديث الشريفة التي بيّنت دور العمل الخيري في التكافل والتراحم بين أفراد المجتمع، وتحقيق الاكتفاء الذاتي وإحلال الأمن والطمأنينة وغير ذلك.

٥. العمل الخيري طريق ووسيلة فاعلة في علاج العديد من الأمراض النفسية كالبخل والشح والأثرة والأنانية.

٦. بيّنت العديد من الأحاديث النبوية أثر العمل الخيري في الإصلاح النفسي من خلال التحفيز علىٰ كسب الأجر ورفع الدرجات، وتعزيز الثقة بالنفس، وبثّ

روح المسؤولية.

٧. يسهم العمل الخيري من خلال السنة النبوية في التشجيع علىٰ العمل والجدّ والاجتهاد والتخلّص من الكسل والبطالة.

٨. بيّنت السنة النبوية أن العمل الخيري سبيل لإسعاد النفس وشغلها بخدمة الآخرين.

٩. العمل الخيري مدخل إلىٰ العديد من الإصلاحات التربوية، كالتحفيز علىٰ البذل والإنفاق عند المقدرة، وبثّ روح المبادرة الابتكار، وتربية الحس الجماعي، واستغلال الوقت، واستثمار المواهب والطاقات.

❁ ثانيا: التوصيات، وتتمثّل في:

١. تكثيف الدعاية للعمل الخيري وأهميته بالنسبة للفرد والمجتمع من خلال المؤتمرات والندوات ومختلف وسائل التواصل الحديثة.

٢. تشجيع العمل الخيري الفردي والمؤسساتي، وتعزيز الثقة في القائمين عليه.

٣. تكليف ذوي الخبرة والكفاءة للقيام علىٰ مختلف مؤسسات العمل الخيري.

هذا، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١. أسس التربية، نذير العبادي، ط١، عمّان: دار يافا، دار مكين، ٢٠٠٦.

٢. أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة، صبحي حمدان أبو جلالة ومحمد حميدان العبادي، ط١، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

٣. أصول علم النفس، محمد شحاتة ربيع، ط١، عمّان: دار المسيرة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، مرتضىٰ، الزَّبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٦. تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين (ت ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٧. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٦٥٤هـ)، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٨. سنن الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسىٰ (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخران، ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥م.

٩. شرح النووي علىٰ مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

١١. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفىٰ: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٢. علم النفس، أحمد يحيىٰ الزق، عمّان: دار وائل، ٢٠٠٦.

١٣. العين (كتاب)، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

١٥. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ (المتوفىٰ: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم

العرقسُوسي، ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١)، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.

١٨. مبادئ علم النفس، سامي حسن الختاتنة وآخران، ط١، عمّان: دار المسيرة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٩. مدخل إلىٰ التربية، سامي سلطي عريفج، ط٢، عمّان: دار الفكر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٠. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانىٰ (المتوفىٰ: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطب عة١، ١٤١٢ه.

٢٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

٢٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد، ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.